

السنة الثالثة ليسانس دراسات أدبية.

الأفواج: 1-2-3

الأستاذة: نادية بوحاريش

المحاضرة الثانية: مبادئ الأسلوبية ومجالاتها

مبادئ الأسلوبية:

أ- الاختيار:

مبدأ الاختيار مفاده أنّ الكاتب أو الشاعر قد اختار من المعجم اللغوي مجموعة من الكلمات حتى يستطيع تكوين رسالته وإحداث الأثر المرجو منها؛ فلغة النص الأدبي هي لغة مختارة بعناية ودقة، ولهذا فإنّ الكتابة أو النظم قوامها اختيار المعجم الخاص للتأثير في المتلقي، ومن ذلك ما قاله جوزيف شريم: «إن الكتابة إجمالاً والكتابة الشعرية خاصة هي نوع من =الاختيار=، يقوم به الشاعر على مستوى كل بيت من أبيات قصيدته ويقول رجاء عيد: «كانت قناعة البنيويين أن المتكلم ينتقي خطابه على حسب اختياره من تلك الطاقة المختزنة في الذاكرة: اللغة، وفيها يكون انتقاؤه لما يناسبه، وعليه فالأسلوب هو دراسة تلك الاختلافات، وتحليل أنماط التباينات».

ب- التركيب:

إنّ تركيب النص الإبداعي خاصة حين خروجه على النمط المعتاد الذي يحترم قانون النحو، وتكوينه لتركيب جديد غير مألوف لدى المتلقي هو الذي يبعث الدهشة والتوتر، ومن هنا كانت الأسلوبية متتبعة له محاولة طرح السؤال "لماذا؟"، والإجابة على هذا السؤال والتوصل إلى فهم التركيب الطارئ هو السبيل إلى فهم العمل الأدبي والوقوف على فنيته وإبداعه.

وهذا يستلزم الخروج على اللغة وقواعد النحو "، لأن: «لكل أديب طريقة خاصة في استخدام الكلمة وتركيب الجملة...و يجب أن ندرك أن التركيب=التشكيل=اللغوي هو المادة الحقيقية المشكلة لفن الأدب، لهذا ينبغي بذل جهد كبير في التعرف على كيفية استخدام الأديب للغة"، وقد اعتنى علماء العرب بفكرة

أهمية التركيب فهذا عبد القاهر الجرجاني يقول: "الكلام لا يستقيم ولا تحصل منافعه التي هي الدلالات على المقاصد إلا بمراعاة أحكام النحو في الإعراب والترتيب الخاص"، الأمر الذي دفع بـ: مصطفى ناصف إلى التصريح بأنه (عبد القاهر): "حرض الباحثين على أن يعيدوا قراءة الشعر العربي في ضوء فكرة تنظيم الكلمات"، ولا سبيل إذن من أجل الوقوف على أدبية الأدب إلا النظر في كيفية تشكيله وهندسته.

الانزياح:

يقصد بالانزياح الخلاف بين النص والمعيار النحوي العام للغة، ولهذا فالانحراف يعني الخروج عن النظام النحوي المؤلف، ويحدد بول فاليري الأسلوب بأنه انحراف عن قاعدة أو معيار ما، أي انحراف عن قانون النحو، ويبيّن مصطفى ناصف أن: "الاستعارة انحراف عن الأسلوب الواضح الدقيق. فالانحراف إذن هو الخروج عن المؤلف المعتاد في الكلام العادي بين الأفراد في المجتمع، والاتجاه نحو صيغة كلامية تبعث الإيحاء وتحت على التأويل، وبالتالي خلق التوتر والاستغراق في حالة التأثر ومحاولة الشرح، أو كما يسميه بعض الباحثين بـ: "مواطن الخروج على المستوى العام الذي عليه الاستعمال العادي للغة.

ولإضاءة مفهوم الانحراف عن السياق يورد ريفاتير مصطلحين هامين هما: الارتداد والتناص، ويعني بالأول تلك الوقائع الأسلوبية التي سبق للقارئ اكتشاف قيمها ثم لا تلبث أن تعدّل معانيها بأخرى بناء على ما يكتشفه القارئ وهو ماضٍ في قراءته، كما يعني بالتناص ذلك الأثر الذي ينشأ عن تراكم عدد من المسالك الأسلوبية لتحدث قوة تعبيرية لافتة، والتي يعدها مثالا للوعي البالغ باستعمال اللغة.

مجالات الأسلوبية:

انطلاقاً من علاقة علم الأسلوب باللغة واعتماداً على المناهج العلمية الحديثة تحدت مجالات البحث الأسلوبي في ثلاث نقاط هي:

أ- الأسلوبية النظرية:

الأسلوبية النظرية تهدف إلى إرساء القواعد النظرية التي ينطلق منها الناقد الأسلوبي في تحليل النص، ويطلق عليها محمد عبد المطلب علم الأسلوب العام الذي لا يرتبط بلغة معينة وإنما المنطلقات الأساسية التي لا ترتبط بأي ناحية تطبيقية كمستوى أول، وهي التي تسعى إلى التنظير ووضع القواعد التي يفيد منها

الناقد الأسلوبي في دراسة النص الأدبي، والهدف منها وضع القواعد النظرية التي ينطلق منها النقاد الأسلوبيون في التحليل.

ب- الأسلوبية التطبيقية:

تهدف الأسلوبية التطبيقية إلى إظهار السمات الخاصة للنص الأدبي، ومدخلها إلى التطبيق هو لغة الأثر الأدبي وفي هذا المستوى "يمكن ملاحظة الاهتمام بالناحية التطبيقية من خلال الابتعاد عن التعميمات المطلقة إلى تحديد المجال بلغة معينة للخروج منها بالتنوعات الأسلوبية التي لا تعتمد على الناحية الفردية، بل تستمد وجودها من القيم التعبيرية في اللغة ونظامها" وهذا المجال يبدأ من التنظير إلى التطبيق وهو يهدف إلى ((تعرية النص وإظهار خصائصه وسماته الأسلوبية في لغة معينة)) وصولاً إلى إظهار سمات النص الأسلوبية في اللغة التي كتب بها .

ج- الأسلوبية المقارنة:

يعتمد هذا المجال على لغة واحدة ذات حدود واضحة، هدفها تبين خصائص الكلام المميزة عن طريق مقابلة بعضها ببعض لتقرير أدوارها المختلفة في إضفاء الجمال على النصوص الأدبية وتقتضي المقارنة الأسلوبية حضور نصين فأكثر، ولا بد من وجود عنصر أو عناصر اشتراك بين هذه النصوص.

وهي منهج من المناهج الأسلوبية الجديدة، ويتباين التصور العربي لهذا المنهج عن التصور الغربي تبايناً كبيراً، ففي التصور الغربي كما وضحه برنر شيلنر فإنَّ الأسلوبية المقارنة تعني بالبحث عن أسلوب لغة ما، إذ أن من واجبها توضيح التراكيب الخاصة بهذه اللغة ودراسة وسائل التعبير فيها مقارنة مع لغات أخرى، على حين أن التصور العربي لهذا المنهج يغير إلى حدٍّ ما التصور الغربي الذي وضحه شيلنر. وهو كما وضحه محمد هادي الطرابلسي الذي يعد صاحب هذا الاكتشاف للأسلوبية المقارنة في النقد العربي يقول في ذلك: ((أما الأسلوبية المقارنة فعلم يدرس أساليب الكلام في مستوى من مستويات اللغة الواحدة فضلاً عن أن يكون جائزاً بين لغات مختلفة ويعتمد إلى المقارنة بين الأساليب لتبين خصائصها عن طريق مقابلتها ببعضها.

وبناء على ذلك يمكن أن نجمل عمل منهج الأسلوبية المقارنة في دراسة النصوص بالآليات الآتية:

- 1- القيام بمقارنة النصوص على مستوى واحد وضمن إطار لغة واحدة، فلا تصح المقارنة بين الفصحى والعامية في أية لغة لأنهما مستويان مختلفان لا يخضعان للمقارنة الأسلوبية.
- 2- وفي الوقت نفسه أيضاً تزعم الأسلوبية المقارنة امتناع أن تحدث المقارنة بين لغات مختلفة التباين في

طريقة عرض الأساليب، فاللغة – كما هو معروف – ((مجموعة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)) ولكل لغة مستوياتها الخاصة بها.

٣- إذا كانت الأسلوبية بوجه عام تعنى بالنص، وایضاح خصائصه وسماته في لغة معينة وتهدف في الوقت نفسه إلى إبراز الطاقات التعبيرية في هذه اللغة فإن الأسلوبية المقارنة قد تكفلت بإظهار صور الابداع في النصوص الأدبية مقارنة ببعضها، وهذا الأمر يتطلب أن تكون هذه النصوص متشابهة في اللغة ومتساوية الأسلوب، لكي يتمكن الناقد الأسلوبي من رصد تصور الابداع بطريقة المقارنة النصية. ٤- يجب أن تشترك النصوص التي يراد دراستها في ضوء منهج الأسلوبية المقارنة بجملة مشتركات من أهمها التشابه في الموضوع أو الغرض أو الجنس الأدبي وذلك لإمكانية التقريب بينها وإبراز خصائصها المميزة، وقد يقتصر التشابه في نوع الأسلوب مثلاً، ومن هنا يتضح أن النصوص التي أطلق عليها بالمعارضات أو النقائض تعد من أصلح النصوص الأدبية دراسة في ضوء منهج الأسلوبية المقارنة لاشتراك هذه النصوص بجملة من المشتركات التي تؤهلها لذلك ولا يعني هذا أن منهج الأسلوبية المقارنة يعد بديلاً للأسلوبية بشقيها النظري والتطبيقي؛ بل تعد مكملًا لهما ترفعهما من مستوى الوصف والتحليل المجردين إلى مستوى التقييم والتأليف الملتمزين.

والأسلوبية تسعى إلى توخي الموضوعية الكاملة في تحليلاتها، ومقاربتها للنصوص الإبداعية كما يقول جوزيف ميشال شريم: "الأسلوبية هي تحليل لغوي موضوعه الأسلوب، وشرطه الموضوعية وركيزته الألسنية" أي أنها تسعى للتمييز بين المناهج من خلال سعيها للبحث عن اللغة الشعرية المتميزة.